[٢]

## قرنان من الحروب الصّليبية

لكن الطمع الغربى الدفين فى نهب خيرات الشرق، وقهره والسيطرة عليه، قد دفع الكنيسة الغربية - التى كانت قد هيمنت على الحياة فى أوربا، وأدخلتها فى عصورها المظلمة - قد دفع هذه الكنيسة إلى العمل على إعادة اختطاف الشرق من التحرير الإسلامى، وذلك بغزوه واستعماره ونهبه مرة أخرى. . فقادت هذه الكنيسة حربها الصليبية العالمية ضد الشرق الإسلامى، والتى كانت أطول الحروب العالمية عمرا، إذ دامت قرنين من الزمان [٤٨٩ - ٦٩٠هـ ١٠٩٦ - ١٢٩١م]. .

ولقد قامت هذه الكنيسة الغربية فى سبيل حشد وتجييش الدهماء والغوغاء الأوربيين، كى يضحوا بأرواحهم فى سبيل المطامع الاستعمارية والمقاصد الكنسية، قامت بأكبر عملية من عمليات تزييف الصورة للإسلام والمسلمين عبر التاريخ، حتى لقد تفوقت على الشرك واليهودية والنصرانية إبان ظهور الإسلام!. .

● فالراهب «بطرس الناسك» [١٠٥٠ - ١١١٥م] احترف تهييج العامة والدهماء والغوغاء بالأكاذيب التى نشرها فى خطبه ومواعظه عن الإسلام والمسلمين. .

● والبابا الذهبى «أوربان الثانى» [١٠٨٨ - ١٠٩٩م] - الذى أعلن هذه الحروب الصليبية - قد وظف فيها:

١- تمويل المدن التجارية الأوربية. . جنوة. . وبيزا. . ونابلى - لقاء استيلاء تجارها على تجارة الشرق مع أوربا. .

٢- وفرسان الإقطاع الأوربيين - الذين كانوا فى نزاعات مستمرة وحروب مستعرة بين بعضهم البعض - فدعاهم البابا إلى توجيه سيوفهم ضد المسلمين، وإلى غسل أيديهم -الملطخة بالدماء- وتطهيرها بدماء المسلمين: -الذين سماهم «الكفار»! ووعدهم بامتلاك بلاد الشرق والاستئثار بخيراتها. . كما صك لهم مفاتيح الجنة - «المفاتيح البطرسية»- لقاء غزوهم الشرق الإسلامى، وإبادتهم للمسلمين!

صنع البابا الذهبى ذلك.. وأعلن عنه فى خطابه الشهير بمدينة «كليرمونت» -بجنوبى فرنسا- عندما جمع فرسان الإقطاع الأوربى سنة ١٠٩٥م وخطب فيهم فقال:

**«يامن كنتم لصوصا كونوا اليوم جنودا.. لقد آن الزمان الذى فيه تحوّلون ضد الإسلام تلك الأسلحة التى أنتم لحد الآن تستخدمونها بعضكم ضد بعض.. فالحرب المقدسة المعتمدة الآن.. هى.. فى حق الله عينه.. وليست هى لاكتساب مدينة واحدة.. بل هى أقاليم آسيا بجملتها، مع غناها وخزاينها العديمة الإحصاء.. فاتخذوا محجة القبر المقدس، وخلّصوا الأراضى المقدسة من أيادى المختلسين، وأنتم املكوها لذواتكم، فهذه الأرض -حسب ألفاظ التوراة- تفيض لبنا وعسلا.. ومدينة أورشليم هى قطب الأرض المذكورة والأمكنة المخصبة المشابهة فردوسا سماويا..**

**اذهبوا وحاربوا البربر -[يقصد المسلمين!] لتخليص الأراضى المقدسة من استيلائهم.. امضوا متسلحين بسيف مفاتيحى البطرسية - [أى مفاتيح الجنة التى صنعها البابا!] واكتسبوا بها لذواتكم خزاين المكافآت السماوية الأبدية.. فإذا أنتم انتصرتم على أعدائكم، فالملك الشرقى يكون لكم قسما وميراثا..**

**وهذا هو الحين الذى فيه أنتم تفدون عن كثرة الاغتصابات التى مارستموها عدوانا.. من حيث إنكم صبغتم أيديكم بالدم ظلما، فاغسلوها بدم غير المؤمنين..**

**أى خزى يجللنا وأى عار، لو أن هذا الجنس من الكفار، الذى لا يليق به إلا كل احتقار، والذى سقط فى هاوية التعرى عن كرامة الإنسان، جاعلا من نفسه عبدا للشيطان، قد قُدر له الانتصار على شعب الله المختار؟!**[1]..

هكذا أسس البابا الذهبى لصناعة الصورة الزائفة عن الإسلام والمسلمين، ولثقافة الكراهية السوداء.. فهو قائد «شعب الله المختار».. والمسلمون هم الكفار.. عبدة الشيطان الذين لا يليق بهم إلا كل احتقار!! وسيوف فرسان

---

(١) مكسيموس مونروند [تاريخ الحروب المقدسة فى الشرق، المدعوة حرب الصليب] المجلد الأول ص١٢، ٤ ترجمة: مكسيموس مظلوم. طبعة أورشليم سنة ١٨٦٥م. دكتورة سيجريد هونكة [الله ليس كذلك] ص٢٣ ترجمة: دكتور غريب محمد غريب طبعة القاهرة سنة ١٩٩٥م.

الإقطاع الأوربيين مع مفاتيح الجنة -البطرسية- هى السبيل للاستيلاء على الشرق، الذى تدر أرضه لبنا وعسلا، والذى تشبه خيراته فردوسا سماويا!!

● ولأن أوربا كانت تعيش عصور الجهل والظلمات -تحت حكم الكنيسة ولاهوتها الخرافى- فلقد كانت الملاحم الشعبية مصدرا رئيسيا لثقافة العامة والدهماء والغوغاء.. ولتأسيس ثقافة الكراهية السوداء للإسلام والمسلمين لدى عامة الأوربيين، نظم شاعر الكنيسة القسيس «كونراد» سنة ١٣٠٠م -فى «ريجنز بورج» - «ملحمة رولاند» التى وصف فيها المسلمين بأنهم:

**«الشعب الذى لا يروى تعطشه لسفك الدماء، والذى لعنه رب السماء.. فهم كفرة وكلاب.. وخنازير فجرة.. وهم عبدة الأصنام التى لا حول لها ولا قوة.. الذين لا يستحقون إلا أن يُقْتلوا وتُطرح رممهم فى الخلاء، فهم إلى جهنم بلا مراء!!»..**

**وفى هذه الملحمة الشعبية، يخاطب القسيس كونراد الشعب المسلم، فيقول: «إن مخمت.. قد أرسلنى إليك لأطيح رأسك عن كتفيك، وأطرح للجوارح جثتك، وأمتشق برمحى هامتك.**

**ولتعلم أن القيصر قد أمر كل من يأبى أن تعمده الكنيسة «ليس له إلا الموت شنقا، أو ضربا، أو حرقا»..**

**إن أولئك جميعا دون استثناء: حزب الشيطان اللؤماء، خسروا الدنيا والآخرة، وحل عليهم غضب الله، فبطش بهم روحا وجسدا، وكتب عليهم الخلود فى جهنم أبداً»[1]!!**

وبهذه الصناعة للصور الزائفة عن الإسلام والمسلمين، وبإشاعة ثقافة الكراهية السوداء بين الدهماء والغوغاء، استطاعت الكنيسة والبرجوازية التجارية الأوربية أن تجيش الجماهير من خلف القساوسة وفرسان الإقطاع ليزحفوا على الشرق الإسلامى، محاولين إعادة اختطافه من جديد..

● ولقد زحف فرسان الإقطاع الأوربى، حاملين آلات الدمار ومفاتيح الجنة، ليفجروا دماء المسلمين أنهارا، وليعيدوا احتلال كثير من بقاع الشرق، واغتصاب المقدسات، ونهب الثروات.. أى ليعيدوا الشرق الذى حرره الإسلام إلى الأسر

(١) [الله ليس كذلك] ص ٤٤.

الغربى من جديد.. فالذى صنعه الإسكندر الأكبر باسم الوثنية الإغريقية، ها هم يصنعونه ثانية تحت أعلام الصليب، وباسم المسيح -عليه السلام-!..

● وعندما اقتحمت جيوشهم القدس سنة ٤٩٢ هـ سنة ١٠٩٩م.. سجل المؤرخ النصرانى «مكسيموس مونروند» كيف قتلوا وذبحوا وحرقوا سبعين ألفا من المسلمين فى سبعة أيام! وكيف أن المسلمين «**الذين هربوا إلى جامع عمر [مسجد قبة الصخرة] ظانين أنهم هناك يحمون ذواتهم من الموت، خاب ظنهم، لأن الصليبيين -خيّالة ومشاة- دخلوا الجامع المذكور، وأبادوا بحد السيف كل الموجودين هناك.. حتى استوعب الجامع من الدم بحرا متموجا، علا إلى حد الركب، بل إلى لجم الخيل.. وذلك مما فتكت به سيوف الجيوش الصليبية من أرقاب [رقاب] - الإسلام [المسلمين]..**

**ولما حل المساء، اندفع الصليبيون يبكون من فرط الضحك [؟!!] - بعد أن أتوا على نبيذ المعاصر- [!!]- إلى كنيسة القيامة، ووضعوا أكفهم الغارقة فى الدماء على جدرانها، ورددوا الصلوات - [!!]- ثم كتبوا إلى البابا فقالوا له: ياليتك كنت معنا لتشهد خيولنا وهى تسبح فى دماء الكفار [أى المسلمين] -!!**»[1].

ولم يكن فرسان الإقطاع الأوربيون هم وحدهم الذين ارتكبوا هذه «**المجزرة المقدسة!**» فى هذه «**الحرب المقدسة**».. وإنما شارك فيها -أيضا- كثير من رجال الدين الكاثوليك - نعم رجال الدين.. الذين قال لهم المسيح: «أحبوا أعداءكم.. وباركوا لاعينكم»، فلقد وصف المؤرخ الأوربى «ميشائيل درسيرر»: «**كيف كان البطريرك نفسه يعدو فى زقاق بيت المقدس، وسيفه يقطر دماء حاصدا به كل من وجده فى طريقه، ولم يتوقف حتى بلغ كنيسة القيامة وقبر المسيح، فأخذ فى غسل يديه تخلصا من الدماء اللاصقة بها، مرددا كلمات المزمور التالى: «يفرح الأبرار حين يرون عقاب الأشرار، ويغسلون أقدامهم بدمهم، فيقول الناس: حقا إن للصدّيق مكافأة وإن فى الأرض إلها يقضى» [المزمور ٥٨: ١٠-١١] ثم أخذ [البطريرك] فى أداء القداس، قائلا: إنه لم يتقدم فى حياته للرب بأى قربان أعظم من ذلك ليرضى الرب**»!![2]

---

(١) [تاريخ الحروب المقدسة فى الشرق المدعوة حرب الصليب] المجلد الأول ص ١٧٢ - ١٧٥.

(٢) [الله ليس كذلك] ص ٥٣.

● ولقد أضاف الصليبيون إلى هذه «الوحشية المقدسة!» التى يتقربون بها إلى ربهم: نقض الوعود، والإبادة لمن قطعوا لهم عهود الأمن والأمان..

- فالملك الصليبى «ريتشارد قلب الأسد» [١١٥٧ - ١١٩٩م] - الذى تزين تماثيله العديد من بقاع إنجلترا **«أقسم بشرفه لثلاثة آلاف أسير عربى أن حياتهم آمنة، ثم إذا هو فجأة منقلب المزاج فيأمر بذبحهم جميعا»!**(١)

- وعندما دخل الصليبيون مدينة «دمياط» فى ٢٥ شعبان سنة ٦١٦هـ - أكتوبر سنة ١٢١٩م **نقضوا عهد الأمان الذى قطعوه مع أهلها العُزّل.. «وغدروا بهم، ووضعوا فيهم السيف قتلا وأسرا، وباتوا تلك الليلة بالجامع يفجرون بالنساء ويغتصبون البنات، وأخذوا المنبر والمصاحف ورؤوس القتلى وبعثوا بها إلى بلادهم، وجعلوا الجامع كنيسة وأرسلوا الأسرى عن طريق البحر إلى عكا»!**(٢)

● كل هذا -وأكثر منه- كانوا يصنعونه باسم المسيح -عليه السلام-! بينما كان الخُلُق الإسلامى - حتى فى مواجهة هذه الوحشية الفظة- لا يتعدى أخلاق الفروسية الإسلامية فى القتال.. فبعد أن استعاد الملك الكامل [٥٧٦ - ٦٣٥هـ ١١٨٠ - ١٢٣٨م] مدينة دمياط.. وسقط الجنود الصليبيون فى الأسر، لم يصنع بهم شيئا مما صنعوه.. وإنما عاملهم وفق الخُلُق الإسلامى فى معاملة الأسرى ﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا**﴾ [الإنسان: ٨، ٩]..

حتى لقد أدهش هذا الخُلُق الإسلامى المتحضر هؤلاء الأسرى الصليبيين، فكتب أحدهم -وهو عالم الفلسفة اللاهوتية «أوليفروس» -من كولونيا نهر الراين- بألمانيا.. كتب شهادته على وحشيه قومه الصليبيين.. وعلى سماحة المسلمين فقال فى رسالة بعث بها إلى الملك الكامل:

**«منذ تقادم العهود لم يسمع المرء بمثل هذا الترفق والجود، خاصة إزاء أسرى العدو اللدود.. ولما شاء الله أن نكون أسراك لم نعرفك مستبدا طاغية، ولا سيدا داهية، وإنما**

---

(١) [الله ليس كذلك] ص ٢٣.

(٢) دكتور محمد عمارة [معارك العرب ضد الغزاة] ص٧٥، ٧٦ - طبعة القاهرة سنة ١٤٣٠هـ سنة

عـرفناك أبا رحيـمـا، شـملنا بالإحسـان والطيـبـات، وعونـا منقـذا فى كل النوائب والملمات..

ومن ذا الذى يمكن أن يشك لحظة فى أن مثل هذا الجود والتـسامح والرحمة من عند الله؟! إن الرجال الذين قتلنا آباءهم وأبناءهم وبناتهم وإخوانهم وأخواتهم، وأذقناهم مر العذاب[فى دمـياط] لماغدونا أسراهم، وكـدنا نموت جوعا راحوا يؤثروننا على أنفـسهم على مـا بها من خصـاصة، وأسـدوا إلينا كل ما اسـتطاعوا من إحـسان، بينمـا كنا تحت رحمتهم لا حول لنا ولا سلطان![1]

هكذا جمـعت «الحرب المقدسة» الصليـبية -التى دامت قـرنين من الزمان- بين «الوحشـية المقدسـة» التى يتقربون بهـا إلى ربهم!! وبين «الغدر بالوعود والخـيانة للعهود»!!.. وكانت فى الجـوهر والحقيقة، سعيـا غربيا وراء نهب ثروات الشرق الإسلامى و«التجارة بدماء المسلمين»!! ولقد شهد شاهد من أهلها:

«على أن الكثيرين من الأشـراف والعظماء الصليبيين صاروا يعـتبرون الحروب بمنزلة مهنة صناعيـة لاحتشاد - [جمع] - الأمـوال الغنيمة، بل إن التعطش نحـو أخذ الغنائم كان يجذب الجيش إلى المحاربة!!»

ولم تسلم نفائس المساجد من هذا النهب.. «فالقائد «تنكريد» قد امتلك جميع الغنى الذى وجد فى جامع عمر [بالقدس] وهذه قد كانت عظيمة المقدار والقيمة، حتى أنه لم تكفها ست عربانات كبيرة لنقلها، وإنه قد استمر مدة يومين مباشرا إخراجها من ذلك الجامع»!![2]

وبعد إبادة المسلمين.. ونهب ثروات الأماكن المقـدسة.. حولوا الحرم القدسى إلى كنيسة لاتينية.. ومخزن للسلاح واصطبل للخيول!!

●●●

ولم يقف صنيع الصليبيين -إبان حربهم العالمـية على الإسلام وأمته وحضارته- عند وحشية الإبادة والتدميـر.. ونقض الوعود والغدر بالعهود.. وهتك الأعراض

---

(١) [الله ليس كذلك] ص٣٣، ٣٤.

(٢) [تاريخ الحـروب المقـدسة فى الشـرق، المدعـوة حـرب الصليب] المجلد الأول ص١٧٦ - [ونحن نذكـر نصوص هذا الكتاب - البالغ الأهمية بترجمته الحرفية الركيكة].

واستباحة الحرمات والاغتصاب والتدنيس للمقدسات.. والاستعمار الاستيطانى والنهب للثروات.. **وإنما فتحوا باب الغواية والخيانة أمام قطاعات من نصارى الشرق الذين سقطوا فى مستنقع الخيانة لأوطانهم وأمتهم وحضارتهم، عندما ناصروا الغزاة الصليبيين!!**

ويشهد المؤرخ النصرانى «مكسيموس مونروند» على هذه الغواية والخيانة، فيقول: «**ذلك أن أخبار الانتصارات التى فاز بها الصليبيون، بامتلاكهم هذه البلاد [القدس وفلسطين] قد انتشرت بسرعة فى الجهات القريبة إليها.. وهكذا شوهد المسيحيون متقاطرين جموعا غفيرة إلى أورشليم، من أنطاكية، ومن الرها، ومن ترسوس، ومن كيادوكيا، ومن ليلكيا، ومن بين النهرين ومن سائر أقاليم سوريا..**

**فالبعض سكنوا فى أورشليم وما يحيطها، وغيرهم كانوا يزورون الأراضى المقدسة ويعودون إلى بلادهم، والجميع حاصلون على فرح عام غير فاترين عن تقدمة الشكر لله والتقريظات لشجاعة الصليبيين وانتصاراتهم كجنود محقين ليسوع المسيح، الذين -أخيرا- أنقذوا قبر ابن الله، مخلص العالم، من أيدى غير المؤمنين!!**»[1]

●●●

● وبعد قيام دول الفروسية الإسلامية -الدولة الزنكية، فى الموصل [٥٢١ - ٦٤٨هـ ١١٢٧- ١٢٥٠م]، وانتصارات سلطانها نور الدين الشهيد [٥١١ - ٥٦٩هـ ١١١٧ - ١١٧٤م] على الصليبيين.. ثم تأسيس الدولة الأيوبية [٥٦٧- ٦٤٨هـ ١١٧١ - ١٢٥٠م] التى أسسها بمصر صلاح الدين الأيوبى [٥٦٤ - ٥٨٩هـ ١١٦٩ - ١١٩٣م]، والانتصارات التاريخية التى قادها صلاح الدين -أصاب الإعياء الكيانات الاستيطانية الصليبية، وفترحماس الإمارات الإقطاعية الأوربية لمد هذه الكيانات بالإمدادات- وخاصة بعد أن رأى كثيرون من الأوربيين الصورة الحقيقية للمسلمين وحضارتهم، والمغايرة تماما لما رسمته الكنيسة للإسلام والمسلمين..

عند ذلك لجأت الصليبية إلى سلاح الغواية، تغرى به قوى أخرى لتستخدمها فى الصراع ضد الإسلام والمسلمين!

---

(١) [تاريخ الحروب المقدسة فى الشرق، المدعوة حرب الصليب].. المجلد الأول ص١٧٣، ١٨٠، ١٨١.

ولقد سقط فى شراك هذه الغواية الصليبية قطاعات من الأقلية الشيعية الإسماعيلية الفاطمية، التى كانت تحكم فى القاهرة.. والتى أتاح ضعفها سقوط القدس والشام وفلسطين أمام الاجتياح الصليبى أواخر القرن الحادى عشر الميلادى..

- ففى سنة ٥٦٤هـ سنة ١١٦٨م سقط الوزير الفاطمى «شاور» [٥٦٤هـ ١١٦٩م] فى شراك الغواية الصليبية، فتحالف معهم وسماهم «الفرج» بدلا من الفرنجة!! ورأى فيهم الفرج والنجاة من جيوش الدولة النورية السُّنّية، التى كانت تسعى لإنقاذ مصر من الوقوع تحت السيطرة الصليبية.. ولقد أدت خيانة «شاور» إلى عقد معاهدة بينه وبين الصليبيين فرضت بموجبها الجزية على مصر، وعسكرت حامية صليبية على أبواب القاهرة، ومعها مفاتيحها!!

- وبعد أن انتهت صراعات الوزير «شاور» مع الوزير الفاطمى «ضرغام» [٥٥٩هـ ١١٦٤م] بدخول جيش الدولة النورية إلى القاهرة بقيادة «أسد الدين شيركوه» [٥٦٤هـ - ١١٦٩م] - ومعه ابن أخيه صلاح الدين الأيوبى [٥٣٢ - ٥٨٩هـ ١١٣٧ - ١١٩٣م] وتخليصها من مراكز الخيانة الشيعية الفاطمية، وتوحيدها مع المشرق العربى، وطى صفحة الدولة الفاطمية من التاريخ.. هذه الدولة التى كانت شيعية باطنية مغالية تحكم شعبا سُنّيا، الأمر الذى جعلها تستند إلى اليهود والنصارى.. ثم يقع قطاع من أركانها فى غواية الصليبيين.. بعد طى صفحة هذه الدولة، شرعت بقاياها فى التآمر مع الصليبيين ضد السلطة «الأيوبية - السُّنّية».. ولقد تحركت هذه الخيانة ممثلة فى بقايا جند هذه الدولة بقيادة قائدهم «جوهر الحضى مؤتمن الخلافة» الذى أرسل رسالة سرّية إلى الصليبيين يستعين بهم ويستنجد بجيوشهم ضد الدولة الأيوبية وجيشها!

ولقد ضبط صلاح الدين الأيوبى هذه الرسالة، وقبض على «مؤتمن الخلافة» الفاطمية، وأعدمه فى ٢٥ من ذى القعدة سنة ٥٦٤هـ سبتمبر سنة ١١٦٨م، وأتبع ذلك بهزيمة جند «مؤتمن الخلافة».. وفى ذلك قال الشاعر عماد الدين الكاتب [٥١٩ - ٥٩٧هـ ١١٢٥-١٢٠١م] مخاطبا صلاح الدين..

مـــؤتمن الـقـــوم خـــان حـــتى غـــالتـــه من شـــرّه الغـــوائل

● وبعد طى هذه الصفحة من صفحات الغواية والخيانة، فتحت صفحة أخرى على أيدى قطاع من أركـان الدولة الفـاطميـة، الذين كـاتبوا الصلـيبـيين - سـرا - مستنجدين بهم ضد الدولة الأيوبية..

ولقد التقى رؤوس هذه الخيانة مع رسول الفـرنجة الصليبيين «جورج» الذى كان يزور القاهرة -فى الظاهر- كرسول للصليبـيين وسفير لهم.. والذى كان يـسعـى -فى الحقيقة- للالتقاء بالخونة المتآمرين!

وعندما اكـتشف صلاح الدين الأيوبى أركـان هذه الخيانة -التى قادها الشـاعر «عمـارة اليمنى» [٥٦٩هـ - ١١٧٤م] قبض عليـهم وأعدمهم فى ٢ رمـضان سنة ٥٦٩هـ ٦ إبريل سنة ١١٧٣م- فطويت بذلك هذه الصـفحة من صفحـات الغواية الصليبية لهذه القطاعات من أركان الدولة الفاطميـة الشيعية الإسماعيلية.. وعادت مصر -كمركز للدولة الأيوبية- مركزا للقـيادة فى الجهاد ضد الصليبيـين تـسعـى -بقـيـادة صلاح الديـن الأيوبى- إلى توحـيد «إمـارات الطوق» حـول الكيـانات الاستيطانية الصليـبية فى فلسطين والشام، تمهيدا لاقتلاع هذه الكيـانات الصليبية، والقـذف بها إلى البـحر الأبيض المتـوسط، الذى جاءت عـبره لاحـتلال الشـرق الإسلامى واختطافه مرة ثانية من الإسلام والمسلمين[1]..

●●●

وفى عهـد الدولة المملوكيـة [٦٤٨هـ -٧٨٤هـ ١٢٥٠-١٣٨٢م] التى واصلت جهاد الدولة الأيوبيـة ضد الكيانات الصليبية المزروعة فـى الشرق العربى.. وضد الحمـلات الصليبية الـتى استهدفت مـركز المقاومـة الإسلامية فى مـصر.. واصل الصليبيـون استخدام سلاح غـواية الآخرين لاستخـدام هؤلاء الآخرين فى الصراع الصليبى الغـربى ضد الإسلام والمسلمـين.. ولم تتورع عن السعى للتـحالف مع الوثنية المغولية فى هذا الصراع!

---

(١) انظر أخبـار هذه الوقائع فى: أبو شامة [كـتاب الروضتين فى أخـبار الدولتين النورية والصلاحـية] جـ١ ص٤١٠، ٤٥٠، ٤٥٣، ٥٦١، ٥٦٤، ٦٠١، ٦٠٢ تحقيق: دكتـورمحمد حلمى محمد أحـمد. طبعة القاهرة سنة ١٩٦٢م، وانظر كتابنا [عندما أصبحت مصر عربية إسلامية] طبعة دار الشروق - القاهرة.

- وكانت الدولة التترية الشرقية تستعد لحملة عسكرية لنهب الشمال الغربى لأوربا، فسعت الكنيسة الكاثوليكية إلى غواية هذه الدولة الوثنية كى توجه حملتها إلى العالم الإسلامى، بدلا من شمالى أوربا.. فأرسل البابا «إينوسنت الرابع» [١٢٤٣ - ١٢٥٤م] سنة ١٢٤٥م بعثه إلى «قراقورم» عاصمة التتر للتفاوض على عقد هذا الحلف «الصليبى-الوثنى» ضد الإسلام والمسلمين..

- وفى قبرص استقبل الملك الفرنسى الصليبى القديس «لويس التاسع» - [١٢١٤-١٢٧٠م] - وهو فى طريقه لغزو مصر والمشرق العربى- استقبل سنة ١٢٤٨م سنة ١٢٤٩م بعثة تترية جاءت من قبل خان التتر «جغطاى» [١٢٢٧ - ١٢٤٢م].. وهناك عقدت المحادثات لبناء هذا الحلف «الصليبى- الوثنى» ضد الشرق الإسلامى.. ولما رجعت هذه البعثة التترية إلى «قراقورم» صحبتها بعثة صليبية فرنسية لاستكمال هذه المحادثات.. ولتوزيع الأدوار.. حيث يهاجم لويس التاسع مصر -من ميناء دمياط- فيشغلها عن نجدة المشرق.. فى الوقت الذى يزحف فيه التتار على هذا المشرق ليدمروه وينهبوه!

- ولم تثن هزيمة لويس التاسع وحملته الصليبية فى معركة المنصورة [٦٤٨هـ ١٢٥٠م] الغرب الصليبى عن مواصلة السعى الحثيث للاستعانة بالقبضة التترية الوثنية لكسر شوكة المقاومة الإسلامية للحرب الصليبية.. فخرجت من الحصن الصليبى فى «عكا» سنة ١٢٥٢م بعثه فرنسية، رأسها رجل الدين «جليوم ردبروك» فذهبت إلى «قراقورم»، واستمرت ستة أشهر تفاوض التتار لعقد هذا الحلف غير المقدس ضد الإسلام والمسلمين.. حتى لقد أراق الصليبيون ماء وجههم أمام التتر فى هذه المفاوضات!

- وفى سبيل تحقيق هذه الغواية الصليبية للتتر، قاموا بغواية أخرى للأقلية النصرانية النسطورية -التى كانت تعيش فى بلاد التتار- رغم أن هؤلاء النساطرة كانوا - بنظر الكنيسة الكاثوليكية- «هراطقة».. وكانوا هاربين بعقيدتهم من بلاد المسيحية الكاثوليكية!

بل لقد استعانوا - على هذه الغواية للتتر- بإحدى زوجات «هولاكو» [٦١٤ - ٦٦٣هـ ١٢١٧ - ١٢٦٥م] خان التتار.. وكانت مسيحية نسطورية تدعى «دوقوز خاتون» فلعبت دور «إستير» اليهودية إبان السبى اليهودى، مع زوجها الملك الفارسى «أحشويرش» [٤٨٦ - ٤٦٥ ق.م]!..

وهكذا اتخذ «هولاكو» قرار الزحف التترى المدمر إلى الشرق الإسلامى، بدلا من شمالى غرب أوربا..

● ولقد تم إبرام هذا التحالف بعد مفاوضات دامت خمسين يوما فى «قراقورم» مثَّل الصليبيين فيها الأمير «هيتوم» ملك الإمارة الصليبية «أرمينية»، والمفوض من قبل الأمير الصليبى «بوهمند» ملك «أنطاكية». وزحفت الحملة التترية المدمرة، يقودها القائد النسطورى «كتبغا» فدمرت الدولة الخوارزمية فى فارس. وصنعت ببغداد -عاصمة الخلافة والحضارة- [سنة ٦٥٦هـ سنة ١٢٥٨م]- الدمار الذى ذهب مثلا فى التاريخ! حيث قتل فيها ثمانمائة ألف -فيهم الخليفة العباسى، وأهل بيته، ورجال مملكته من الأمراء والوزراء.. أما الذين هربوا من الموت إلى الأقبية تحت الأرض، فلقد خرجوا -بعد أيام المجزرة- كما يقول المؤرخ ابن كثير [٧٠١ - ٧٧٤هـ ١٣٠٢ - ١٣٧٣م]: **«كأنهم الموتى إذا نبشوا قبورهم، وقد أنكر بعضهم بعضا، فلا يعرف الوالد ولده ولا الأخ أخاه، وأخذهم الوباء الشديد، فتفانوا وتلاحقوا بمن سبقهم من القتلى»!**[1]

ولم تكن المذبحة التى أصابت مكتبات بغداد، والتى أحدثت شرخًا فى ذاكرة الحضارة الإسلامية- بأقل من مذبحة البشر فى بغداد!..

كل هذا صنعته الغواية الصليبية للوثنية التترية.. وللنصرانية النسطورية -ولقد أسهم فى هذا التحالف غير المقدس شيعة بغداد، الذين قادهم الوزير الشيعى ابن العلقمى [٥٩٣ - ٦٥٦هـ ١١٩٧- ١٢٥٨م] الذى خان أمته وحضارته وتحالف مع التتار!..

● ولم تقف هذه الآثار الكارثية لهذا الدمار عند بغداد.. وخلافتها العباسية.. وأهلها.. ومكتباتها.. وآثارها الإسلامية النفيسة.. وإنما امتد هذا الدمار إلى

---

(١) ابن كثير [تهذيب البداية والنهاية] جـ٤ ص٣٠٥-٣٠٧ طبعة دار الفكر العربى بالقاهرة سنة ٢٠٠٦.

المشرق العربى بكامله.. ولم يتوقف إلا بالانتصار الإسلامى الذى قاده الملك المظفر قطز [٦٥٨هـ ١٢٦٠م] فى عين جالوت بغزة -على حدود مصر- [٦٥٨هـ ١٢٦٠م]، والذى أنقذ الإسلام وأمته وحضارته من الفناء!

● وإبّان الاحتلال التترى لدمشق [٦٥٨هـ ١٢٦٠م]- الذى كان يقوده القائد النسطورى «كتبغا»- سقطت قطاعات من نصارى دمشق والشام فى شرك الغواية والخيانة، فانقلبوا على انتمائهم للحضارة العربية الإسلامية - التى حررتهم من إبادة الغرب الرومانى وخانوا أمتهم، وأعلنوا تحت حماية حراب التتار التطاول على الإسلام والمسلمين!..

ويحكى المقريزى [٧٦٦ - ٨٤٥هـ - ١٣٦٥ - ١٤٤١م] - وهو عمدة مؤرخى العصر- «**كيف استطال النصارى بدمشق على المسلمين، وأحضروا فرمانا من هولاكو بالاعتناء بأمرهم وإقامة دينهم، فتظاهروا بالخمر فى نهار رمضان، ورشُّوه على ثياب المسلمين فى الطرقات، وصبوه على أبواب المساجد، وألزموا أرباب الحوانيت بالقيام إذا مروا بالصليب عليهم، وأهانوا من امتنع من القيام للصليب، وصاروا يمرون فى الشوارع إلى كنيسة مريم، ويقفون به، ويخطبون فى الثناء على دينهم، وقالوا جهرا: «ظهر الدين الصحيح دين المسيح»! وخرّبوا مساجد ومآذن كانت بجوار كنائسهم.. فقلق المسلمون من ذلك وشكوا أمرهم لنائب هولاكو -«كتبغا»- فأهانهم وضرب بعضهم، وعظم قدر قسوس النصارى، ونزل إلى كنائسهم وأقام شعارهم»!**[1]

وهكذا جمعت الغواية الصليبية: الوثنية التترية.. والنصرانية النسطورية.. ونصارى دمشق والشام، ضد الإسلام والمسلمين!

ثم يحكى المقريزى كيف أدت هذه الغواية والخيانة إلى ردود أفعال قاسية، وذلك بعد انتصار المسلمين على التتار فى «عين جالوت» وذلك عندما «بادر أهل دمشق إلى دور النصارى فنهبوها، وخربوا ما قدروا على تخريبه!»[2]

---

(١) المقزيزى [كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك] جـ١ ق٢ ص٤٢٢، ٤٣٢ تحقيق: دكتور محمد مصطفى زيادة طبعة القاهرة سنة ١٩٥٦م.

(٢) المصدر السابق.. جـ١- ق٢ ص٤٣٢.

فكانت الغواية الصليبية وبالا على الذين سقطوا فى حبائلها!

●●●

هكذا شن الغرب الصليبى على الشرق الإسلامى هذه الحرب العالمية الصليبية، التى دامت قرنين من الزمان [٤٨٩ - ٦٩٠هـ ١٠٩٦ - ١٢٩١م] فى محاولة شرسة لإعادة اختطاف الشرق - مرة ثانية - من الإسلام والمسلمين..

ورغم بشاعة هذه الحرب التى اعتبروها مقدسة، يتقربون بمجازرها إلى الله!! حاشاه وتنزه عن ذلك- فإنهم لم يعتذروا عنها حتى هذه اللحظات!

وفى هذه الحرب الصليبية فتحت الغواية الاستعمارية الغربية أبواب الخيانة والسقوط أمام قطاعات من أبناء الأقليات الشرقية - النصرانية والمسلمة -.. وهو الأمر الذى يجرى التعتيم عليه فى ثقافتنا المعاصرة، وفى التأريخ لتلك القرون![1].

●●●

(١) ولقد سبق وأوردنا -فى التمهيد- كلام الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، عن أن الأقباط -فى مصر- كان هواهم مع الصليبيين -الذين غزوا مصر- وأن ذلك كان السبب فيما أصابهم من اضطهاد!



obeikandl.com